

## ما موقع الدعاء في نصره غزة؟ ومتى يكون منتجا؟



السبت 24 فبراير 2024 05:33 م

يكثر الجدل في أوساط المسلمين حول ما يجب عليهم فعله لمناصرة أهل غزة ودعمهم ومساندتهم في محتهم التي يتعرضون لها على يد آلة القتل الصهيونية الوحشية، ليستقر القول في غالب الأحوال على أن المسلمين في ظل الظروف القائمة لا يملكون لهم إلا الدعاء، إذ المطلوب أكبر من قدراتهم وما يمكنهم فعله.

ومع أن الإسلام يعد الدعاء عبادة من أجل العبادات وأعظمها، فهي تجعل المؤمنين يستشعرون افتقارهم الدائم إلى الله، وحاجتهم إلى مدده وعونه وتوفيقه في كل حال، إلا أن الدعاء لا يكون فعلا منتجا إلا إذا وقع موقعه الصحيح، فالمقرر عند جماهير علماء المسلمين أن للنصر أسبابا يجب الأخذ بها، فالواجب على المسلمين الأخذ بتلك الأسباب والحرص على فعلها، ثم يكون الدعاء بعد ذلك طلبا للمدد والعون من الله تعالى.

لكن الركون إلى الدعاء فقط، والتعويل عليه لحدوث ما يتمناه المسلمون ويرجونه، مع عدم أخذهم بالأسباب الواجبة، وتقصيرهم بما يمكنهم القيام به، وعدم قيامهم بنصرة إخوانهم ومساعدتهم بكل السبل والوسائل الممكنة، فهو ضرب من التمني الحالم، الذي يعول على تحقق النصر الإلهية من غير القيام بما يجب على المسلمين القيام به، من إعداد العدة، والأخذ بأسباب النصر، وبذل الوسع والطاقة، وعمل المقدر عليه، والتحلي بالصبر والنفس الطويل في مقارعة الأعداء ومواجهتهم.

ووفقا لمراقبين فإن العدوان الوحشي الذي تشنه قوات الاحتلال الإسرائيلي على غزة، وإجبار أهلها على النزوح من بيوتهم، وفرض حصار خانق عليهم، ومنع وصول المعونات والمساعدات إليهم، كشف بصورة سافرة عن تخاذل الأنظمة العربية والإسلامية في نصره أهل غزة، وتقاعس الشعوب العربية والإسلامية عن ممارسة ضغوط جدية على أنظمتها لتتحرك تحركا فاعلا لوقف العدوان، وفك الحصار بما تمتلكه من أدوات وآليات يمكن أن تؤتي ثمارها لو تم استثمارها بصورة جادة وحقيقية.

مقولة "لا نملك إلا الدعاء" التي تتردد في أوساط المسلمين، تعبيراً عن عجزهم عن نصره أهل غزة "تنتمي إلى الثقافة السلبية التي خلفها الإرجاء بشقيه العقدي والسياسي حيث كان الناس يذهبون إلى المغارات يتلون صحيح البخاري ويسألون الله أن يهزم عدوهم، فالفكر السلبي من إفرجات الإرجاء والانسحاب من موقع أداء الواجبات، وفق الكاتب الجزائري والباحث الإسلامي، لخضر رابحي.

وأضاف: "نعم الدعاء مطلوب، وفي كل المراحل بل هو مطلوب من المجاهد وهو يتقدم الصفوف ويستعد للمعارك كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم قبل معركة بدر، والدعاء من المجاهد المقتحم أصدق لهجة وأكثر بركة نبيل الاستجابة كما ورد في النصوص والدعاء يرفع كذلك ممن يتقدم بالأموال والمساعدات راجيا أن يتقبل الله منه".

وتابع: "والدعاء حالة حضور ويقظة ممن يدعم صفوف المقاتلين بالأخبار والرسائل ويشارك في بث صور بطولاتهم رفعا للمعنويات، وصور إجرام العدو فضحت سلوكه الهجمي الأرعن، أما الدعاء من المتقاعس فكلما كان تبريرا لعدم الفعل، وتبريرا للقعود والفرجة كان مساهمة سلبية في نشر منهج الإرجاء السياسي، وتعميم سلبياته".

وردا على سؤال حول ما تستطيع الأمة فعله والقيام به في ظل الظروف القائمة، أكد الباحث الجزائري رابحي أن "الأمة تملك أن تفعل، ويجب عليها أن تبذل قصارى جهدها وعصارة تفكيرها بحثا عن صور النصر العملية والفاعلة وهي متاحة رغم الحصار والتضييق، كجمع المال ودعم المقاومين، والمساهمة في إعدادهم، وإغاثة أهل غزة المدنيين، وتنظيم المجتمع المدني وزيادة الضغط على منظمات حقوق الإنسان، وكتابة ملايين رسائل الاحتجاج إلى السفارات ومكاتب الأمم المتحدة فكل ذلك ممكن ومتاح".

وأردف: "كذلك فإن معركة الإعلام بكل صورها، ومعركة كسر صورة العدو المتهاوية، والضغط على الدول العربية بتحريك الأحزاب والهيئات والعلماء فكله من المقدر عليه والمتاح، والاستمرار في تنظيم المظاهرات صورة أخرى من صور النصر، ومقاطعة بضائع الدول الداعمة

للكيان، وصناعة المحتوى في الأغاني والأهازيج كل ذلك من صور النصر، كما أن تفعيل نخب المجتمع لتتحرك أمر مهم، فئة المحامين والمهندسين والأطباء بالانخراط في المظاهرات ومظاهر الاحتجاجات المختلفة".

وأبدى تخوفه من أن تكون "مقولة" لا نملك إلا الدعاء" فكرة قاتلة تشل الأمة وتمنعها من التفكير والتدبير والحركة، وما كان هذا منهج النبي صلى الله عليه وسلم، فمسؤولية المسلم في نصرته أخيه تتعاظم بقدر الخطر المحدق به (والمسلم أخو المسلم لا يسلمه) فالمعركة ضد الباطل والظلم في منهج النبي تقوم على استفراغ الوسع والجهد، والبذل وقوة العمل والاستعداد للتضحية، وفهم السنن، فإن الله لا يقاتل نيابة عن المسلمين (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم)".

ولفت إلى أن "الدعاء في منهج النبي صلى الله عليه وسلم عبودية فبعد إتمام الجهد البشري المطلوب والاستعداد والإعداد يطلب المسلم التأييد والمعدد، وليس الدعاء تبريراً للتقاعس، ولا تفويض القدر ليتولى إدارة المعركة، فكل ذلك من مخلفات الفكر السلبي الذي سيطر على الأمة قروناً خلت".

من جهته علق الكاتب والمؤرخ الفلسطيني، الدكتور أسامة الأشقر على مقولة "لا نملك إلا الدعاء" بالقول: "يعمد بعضهم إلى تصوير عجزه واستسلامه لواقعه بالقول إنه لا يملك إلا الدعاء، وما يدري أن الدعاء ليس من أدوات العاجزين، ولا أسباب الخاضعين... فالدعاء ليس أذكارا يكررها الداعي رافعا يديه، وليس أورادا مدبجة يصوغها بعضهم بحرفة ودقة، وإلا فإن عدونا الذي ندعو عليه صباح مساء على امتداد الأرض لن تجد له ذكرا ولا أثرا".

وتابع في منشور عبر صفحته على الفيسبوك: "وهو ليس كلمات ملفوظة ولا جملا محفوظة، إنه تعبير قولي وفعلي وحالي، واحتياج عارم يجول في النفس ويلج في البروز، يطلبه المؤمن من ربه، وهو منغمس في تحصيله واستدعائه، كما أنه يطلب النصر من ربه وهو في أتون المعركة (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)".

وأردف: "والدعاء هو الحلقة التي تصل الأسباب بالغايات، وتشحنه بالرشاد والتوفيق، وهو سبب من أقوى الأسباب الموصلة إلى الغايات إذا تعلق بصحة الإيمان وقوة العمل، والاكتفاء بالدعاء دون عمل وسعي ومتابعة هو اكتفاء بالسبب، وهذا يقدح في إيمان المرء وادعائه، والدعاء لا يعني أن نستغني عن العمل والإنتاج، ولا يعني أن نتوقف عن البحث عن البدائل والخيارات، ونفتش في المنافذ والمداخل والاحتياطات، لأن الدعاء هو في سياق العمل والسلوك".

وأكد أن "الدعاء هو عبادة العاملين يربطون فيه أعمالهم بمقاصدها، ويصلونه بالداعي إليها، ويطلبون القرب إليه أكثر بتريدها وتكرارها، وكأنهم يسترشدون بها ليصلوا إلى أقرب الطرق وأخصرها (لعلهم يرشدون)".

وفي ذات السياق أورد الباحث والداعية المصري، محمد هندأوي الأزهري ما هو مقرر عند العلماء من أن "الميسور لا يسقط بالمعسور" فالمسلم إذا ما استطاع أن يفعل شيئا فعله، وإذا لم يستطع أن يفعل ما فوقه، وواجبنا تجاه غزوة واضح وبين، فليس كل المسلمين يستطيعون أن يقاتلوا، وأن يعبروا الحدود لمشاركتهم في جهادهم وقتالهم ضد جيش الاحتلال".

وتابع: "لكن ثمة ما ينبغي أن يكون جميع المسلمين على وعي به، ألا وهو قضية التطبيع مع هذا العدو الدائم المستقر الذي لا يمكن بحال أن تمد إليه يد، وأن تكون بيننا وبينه صداقات، ولا أن نسعى إلى تواصل معه، فصناعة الوعي هو أجلي وأتم وأوضح ما ينبغي أن يكون في هذه المعركة، وهذا دور العلماء والدعاة، فواجبهم أن يحترزوا احترازا بينا من كل صور التضليل والتشويه كالسلام مع عدو دائم لا مهادنة بيننا وبينه، صاحب مشروع استيطاني في المنطقة".

وتبّه الأزهري إلى "ضرورة الفصل بين القضية الكلية التي عليها الإجماع، ألا وهي دعاء هؤلاء القوم للإسلام وأهله، وللمنطقة وأهلها، ولتراث الأمة وتاريخها، وبين تقدير الموقف من الحركة الإسلامية في اجتهاداتها إن كانت خاطئة أو مصيبة، فلا ينبغي أن يكون الآن تقدير الموقف مما فعلته حماس... أصابت أم أخطأت... فما ينبغي أن يكون محل نظرنا الآن: هل أغاثت الأمة أهل غزة وهم في حاجة إليها، الجواب: لا".

وأردف: "فتقدير الموقف مما فعلته حماس ليس هذا وقته، فالعبرة والنظر في مسألة التكافؤ هذا واقع في جهاد الطلب، أما في جهاد الدفع فما دام أننا نعلم أن العدو قادم إلينا لا محالة، وأنه سينكل بنا، فالواجب أن ندافع عن أنفسنا بما أتيت لنا، وأما من يكتفون بالدعاء فهم واهمون ولا يريدون أن يحركوا الأمة، ولا أن يتحركوا، فإذا ما يقولوا الحق أو يصمتوا، ولا يكذبوا على أنفسهم".

وشدد في ختام حديثه على أن "من يتكلم بالحق ويقوم بما يجب عليه ينجي رقبته في الدنيا وفي الآخرة، وأن الذين ناصرنا الطواغيت على مر العصور يكونون تحت الأقدام بعد ذلك، والنعال على رؤوسهم، وأن الذين ناصرنا الحق وأهله يرفع الله ذكرهم وإن لم يمتنعوا بهذا الرفع في حياتهم، كما قال تعالى {إننا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد}".